الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة البويرة

قسم اللغة و الأدب العربي

التـأويل النحوي في تفسير آيات الأحكام

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة و الأدب العربي

تخصص: دراسات لغوية

إعداد:

- تاجـر مريـــم
- ابراهيمي صباح

إشراف الأستاذ:

د. طهراوي بوعلام

السنة الجامعية

2013-2012

كلمة شكر

نتقدم بالشكر الجزيل وفائق الاحترام و التقدير للأستاذ

الدكتور: طهراوي بوعلام على قبوله الإشراف على هذا

العمل و على توجيهاته الهادفة و تشجيعا ته الصادقة.

إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى والديّ و إلى أفراد عائلتي صغيرا و

كبيرا.

و إلى كل من ساهم في هذا العمل من قريب أو من بعيد و لو

حتى بالكلمة الطيبة.

صباح

إهداء

إلى من لهما فضل ما وصلت إليه والداي العزيزين

إلى كل أخواتي و إخوتي و كل صديقاتي.

إلى كلّ من أحبّني.....

مريم

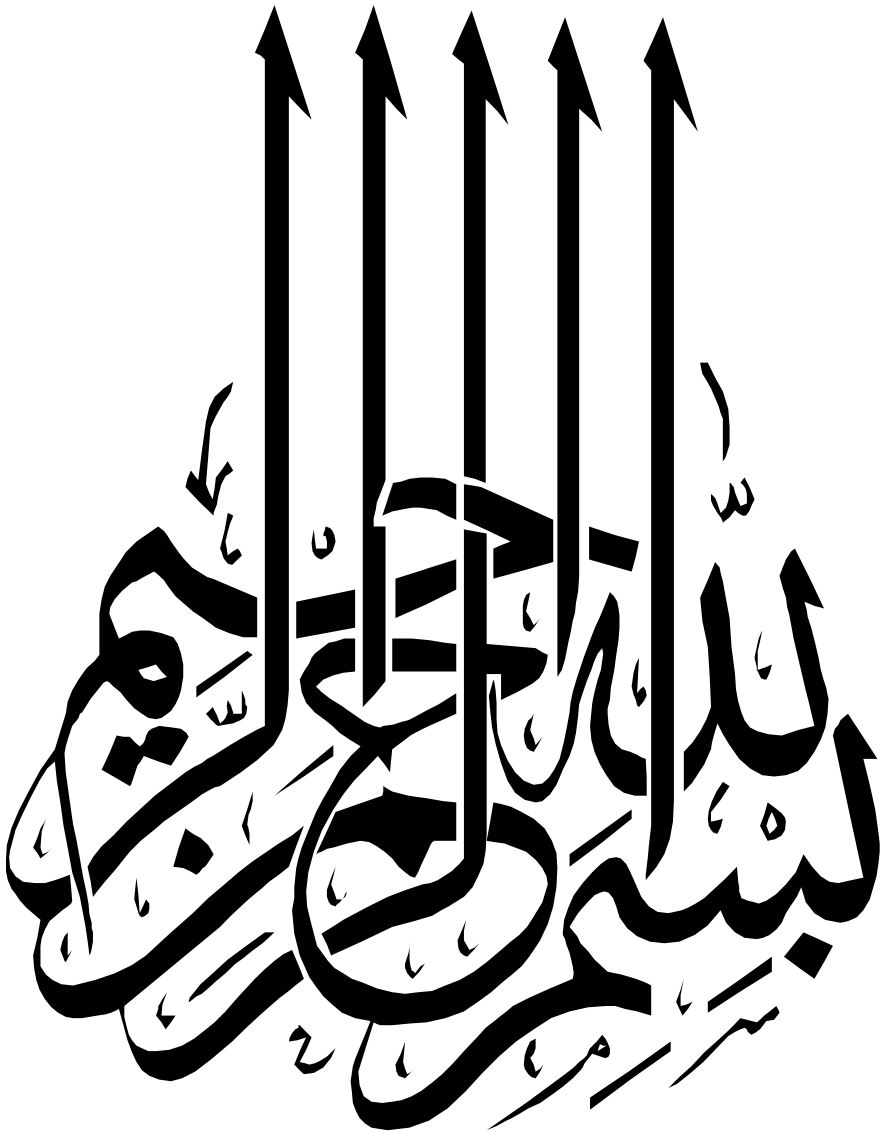
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة:

الحمد لله الذي أنزل القرآن هدى للناس و كتابا مبينا و الصلاة و السلام على من بعثه الله ليبين لهم ما نزل إليهم و سراجا منيرا، و على صحبه و سلم تسليما.

تهيّأ لعلماء اللّغة العرب ما لم يتهيّأ لأيّ علماءِ لغةٍ أخرى في العالم كتابُ من الله " لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه" بلسان عربيّ مبين موثّق أدقّ توثيق بحفظ الله و بجهود المؤمنين على نحو لهم يتهيأ لاي كتاب في العالم، هو القرآن الكريم دستور حياة المسلمين لما تضمّنه من أحكام شرعيّة توجّه حياتهم في كل جوانبها ،و لما كانت للقرآن الكريم هذه المنزلة العظيمة في نفوس العرب المسلمين فقد تناولوه بالدّراسة في كلّ علومهم و أقاموا به أدلّتهم و استشهدوا به على كلامهم و لعلّ أهمّ هذه العلوم التي عنيت بالنّص القرآني علم النحو العربي، فإذا كان البلاغيّون يكرّسون علمهم، و قصارى جهدهم لكشف الخافي من دلائل إعجاز القرآن فإنّنا نجد النّحويين يُقدِمون على عدم تقبُّل الظاهر من الأحكام في الكثير ممّا جاء في القرآن باستخراج الخافي من التأويلات لإجراء ما يريدون إجراءه على أنّه الأصل المراد في كلام الله، و لأهمية التّأويل النّحوي البالغة في تفسير القرآن الكريم نجد أنّ الفقهاء كلّهم كانوا على دراية واسعة بالنحو و اللغة، الأمر الذي كان يمكّنهم من التّفرقة بين الأساليب المختلفة مهما صغُر هذا الاختلاف.

وقد اجتمع في اختيارنا لهذا الموضوع دافعان :

الأول: لغوي و هو الاطّلاع على تأثير الحكم النّحوي على الحكم الشّرعي و توجيهه فالمعاني تختلف باختلاف الإعراب.

الثاني: ديني فشغفنا بدراسة القرآن الكريم الذي هو معجزة سيد الخلق محمد صلّى الله عليه وسلم جعلنا نضع نصب أعيننا معالجة مثل هذه المواضيع التي هي سبل لمعرفة خبايا القرآن الكريم و تدبر ما فيه من أسرار و بيان.

وقد تضمّن بحثنا هذا عدة إشكالات منها: كيف تأثّر القرّاء بمنهجهم النحوي في قراءاتهم؟ كيف أثّر التّأويل النّحوي في التفسير؟ ما هي الشّروط اللّغوية التي يجب توفُّرها في المفسّر والفقيه ؟ و اعتمدنا في محاولة الإجابة عن هذه الأسئلة على تقسيم البحث إلى مقدمة و تمهيد و فصلين و خاتمة.

التمهيد: تطرقنا فيه إلى بيان عناية العلماء المسلمين بالنّص القرآني على مرّ العصور ومنذ نزوله من جوانب متعددة حتى يتسنّى لهم الإحاطة بأسراره و استنباط أحكامه.

أما **الفصل الأول:** فهو جانب نظري تطرقنا فيه لأهم ما يتعلّق بتاريخ الدرس النّحوي و درس التّفسير.

الفصل الثاني: يمكن وصفه بالتطبيقي و غن لم يمن كله كذلك فقد بينا فيه أثر التّوجيه النّحوي في استنباط الأحكام الشّرعية مع أخذ نماذج من آيات الأحكام لتوضيح هذا الأثر.

أما **الخاتمة** فتطرّقنا فيها إلى بعض النتائج المتوصّل إليها من خلال معالجة مختلف الفصول السابقة.

و اعتمدنا في معالجة المعلومات الواردة في هذه الفصول على المنهج الوصفي التحليلي مستندين إلى مصادر و مراجع عدة أهمها: كتاب الله عزّ وجلّ قرآننا العظيم، الإتقان في علوم القرآن للسّيوطي، التّطبيق النّحوي للرّاجحي، المقدّمة لابن خلدون، التّفسير اللّغوي و الاجتماعي للقراءات القرآنية لهادي نهر إلى غير ذلك من الكتب القيمة التي أفادتنا كثيرا.

وفي نهاية هذا البحث نشكر الله عزّ وجلّ على نعمه الكثيرة التي لا تُعدّ و لا تحصى و منها نعمة التعلّم و تيسير السبل إليه ونخّص بالذّكر أستاذنا المشرف الدكتور بوعلام طهراوي. و لا حول و لا قوة إلاّ بالله.

تمهيد:

أهم القدماء من كبار المسلمين بدراسة لغة القرآن الكريم منذ القدم و أولوها عناية فائقة في دراساتهم، لذلك وجدنا الكثير من العلوم اللغوية التي نشأت في رحابه، اتخذت من آياته الكريمة نقطة الانطلاق، ومن بين تلك العلوم معرفة ألفاظه، و إعرابه، و قراءاته، وبلاغته، و تفسيره، و إعجازه و لعل ما يهمنا في هذا البحث هو علاقة علم تفسيره بإعرابه فمن أعظم ما يجب على الطالب لعلوم القرآن الكريم، الراغب في فهم معانيه و استنباط أحمامه لمعرفة أوامره و نواهيه معرفة إعراب و الوقوف على تصرف حركاته و سلوكاته، ليكون بذلك سالما من اللحن فيه غير محرق لنص و من ثم لحكم شرعي، مطلعا على المعاني التي قد تختلف باختلاف الحركات، أو باختلاف التقديم و التأجيل، أو الحذف، أو الزيادة متفهما لما أراد الله به من عباده، إذ بمعرفة حقائق الإعراب تعرف أكثر المعاني و ينجلي الإشكال و يفهم الخطاب القرآني، و هذا ما يحفظه لنا علم النحو العربي و بناء على كل الذي سبق ارتأينا طرح التساؤل حول أثر التوجيه النحوي على القراء في قراءاتهم و من ثم على آيات القرآن الكريم، و من ثم التفسير لاستنباط الحكم المراد من الآية القرآنية على وجهه الصحيح الذي أراده الله لعباده في محاولة للإجابة عنه في بحثنا هذا.

الفصل الأول

تاريخ الدرس النحوي و درس التفسير

أفضل علم صرفت إليه الهمم ولقبت فيه الخواطر وسارع إليه ذوو العقول، علم كتاب الله تعالى ذكره، إذ هو الصراط المستقيم والدين المبين، والحبل المتين، والحق المنير،ومن أعظم ما يجب على الطالب لعلوم القرآن الكريم الراغب في تجويد ألفاظه وفهم معانيه ومعرفة إعرابه، والوقوف على تصرف حركاته وسواكنه ليكون بذلك سالما من اللحن فيه، متعينا على أحكام اللفظ به، مطلعا على المعاني التي تختلف باختلاف الحركات، متفهما لما أراد الله تعالى به من عباده، إذ بمعرفة حقائق الإعراب تعرف أكثر المعاني، ويتجلى الإشكال، فتظهر الفوائد ويفهم الخطاب وتصح معرفة الحقيقة، من هنا تتضح العلاقة القائمة بين العلمين إذ لا يتم الأول إلا بالثاني والعكس صحيح هما النحو و التفسير فلا يمكن إثبات القاعدة النحوية إلا بالرجوع إلى الاستشهاد بالقرآن الكريم وكذلك الأمر بالنسبة للآية القرآنية لا يتم التوصل إلى ما تدل عليه من أحكام إلا بالاستناد إلى قواعد اللغة العربية ويعرف كل من العلمين كالتالي :

– أما النحو فعرفه ابن حني { النحو هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم، شد بعضهم عنها رد إليها }.[1]

– التفسير: قال أبو حيان:((التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم ومدلولاتها وأحكامها الانفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب)) .[2]

– وقال الزمركشي: ((التفسير علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معنيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ).[3]

[1]- ابن جني عثمان أبو الفتح، الخصائص ، ت عبد الحميد هداوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ط1،2001، ص 88.

[2]- منصور كافي، مناهج المقر في العصر الحديث، دار العلوم للنشر، الجزائر، بدون ط، ص17.

[3]- نفس المرجع. ص 17

المطلب الأول: عوامل نشأة النحو:

إذا كان القدماء قد ربطوا في وضع علم النحو باللحن فإن ذلك لشيوعه و انتشاره في الحواضر، ثم انتقاله إلى البوادي فلم يعد ثمة بد من أن يهتم الخلفاء و الولاة لهذا الأمر وان يلجئوا إلى العلماء ليضعوا الضوابط والقوانين التي تعصم الألسنة من الخطأ وإذا كان هذا صواب فإنه صواب غير كامل لان النحو يؤدي الدور الأساسي في فهم القرآن الكريم فهم بهذا لا يحرصون على سلامة اللغة فحسب، وإنما يحاولون كذلك أن يحققوا هدفا أسمى، وغية أعظم ، أنهم يخشون أن ينتقل هذا الفساد إلى القرآن الكريم ، فيناله التحريف والتغيير وبذلك يضيع ذلك الدستور الإسلامي العظيم ، ثم لا يؤمن أن تضيع معالم الدين بعده فالنحو يؤدي عظيم الدور في فهم آي القرآن الكريم، والتوصل إلى معانيه الشريفة .

- يقول عبد القاهر الجرجاني في الدور الذي يؤديه الإعراب في فهم دلالة الألفاظ:

<<.....إذا كان قد علم أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها وأنه بالمعيار الذي لا يبين نقصان كلام و رجاحته حتى يرجع إليه، لا ينكر ذلك إلا من ينكر حسه، وإلا من غالط في الحقائق نفسه >>.[1]

وهو من أدوات المفسر والفقيه وعلماء القراءات وغيرهم فهم حراص إذن على إن لا يدخل اللحن والتعريف إلى السنة النبوية فقد يظل القرآن سليما نقيا ولكن اللغة إذا فسرت أو حرفت أو بعدت عن أصلها لن تعين على فهم القرآن والسنة لأنها ستصبح شيئا مستغلقا مهما دون إن تعقب الفائدة المترتبة عليها، فما بالك إذن وقد انتقل اللحن فعلا إلى القرآن الكريم، كما في قراءة الحجاج لأية التوبة، كذلك ما رواه أبو الحسن من أن الحجاج كان يقرأ "<< إنا من المجرمون منتقمون >> (السجدة-22-)

وما رواه أبو الحسن أيضا بقوله : كان سابق الأعمى يقرأ:

[1]- محمد سليمان ياقوت، مصادر التراث النحوي، دار المعرفة الجاموية جامعة طنطا مصر، بدون ط، 2003م ، ص 45.

<< الخالق البارئ المصوِّر >>(الحشر-64-) ، فكان ابن حجان إذا لقيه قال : يا سابق ما فعل الحرف الذي تشترك بالله فيه ؟

قال أبو الحسن: وقرأ << ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا >> (البقرة-221-)

قال ابن حاجان: وان آمنو أيضا لم تنكحهم.

وروى الجاحظ أن الحسن غلط في حرفين من القرآن مثل قول: << ص والقرآن >> (ص-1-)

والحرف الأخر :<< ومـــا تنزلَت به الشَياطون>>.[1]

وما يروى عن الحجتج أيضا انَه سأل يحي بن يعمر، هل يلحن في بعض نطقه؟ فصارحه يحي بأنه يلحن في حرف من القرآن الكريم اذ كان يقرأ قوله عزَ وجل :

<< قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم >> (التوبة-24-)

إلى قوله تعالى: (أحبُ(بضَم (أحبُ) و الوجه ان تقرأ بالنصب خبرا لكان لا بالرفع.[2]

وفي رواية أخرى : طلب أعربي في عهد عمر ابن الخطاب أن يقرئه أحد شيئا من القرآن ، فأقرأه رجل سورة بقراءة فلحن في قوله تعالى :<< إنَ الله بريء'' من المشركين ورسوله >> (التوبة-3-) حيث قرأها بكسر الام في (رسوله) فقال الأعرابي أو قد برئ الله من رسوله؟ إن يكن الله قد برئ من رسوله فأنا أبرأ منه، فلمَا بلغت هذه الحادثة عمر دعا الأعرابي وقال له: ليس هكذا يا أعرابي فقال الاعرابي: كيف هي يا أمير المِؤمنين ؟ فقال إنَ الله بريْ من المشركين ورسوله بالرفع، فقال الاعربي: و أنا والله .

أبرأ ممن برئ الله ورسوله منهم فأمر عمر بعد ذلك أن لا يقرأ القرآن الآ عالم باللغة ، وروي أنْه رسم للأبي الأسود الدولي من عمل النحو مارسمه وقيل: إن هذه القصة كانت مع علي رضي الله عنه وقيل انْها كانت مع أبي الأسود نفسه في زمن زياد.[3]

---

[1]- صلاح رواي، النحو العربي نشأته ، تطوره ،مدارسه رجاله، دار غريب للطباعة والنشر القاهرة، ط1،2003م ،ص 22،3م

[2]- المرائي ابراهيم عبود المفيد في المدارس النحوية، دار المسيرة للنشر والتوزيع عمان، ط1 ، 2007م 1427ه ، ص 18

[3]- المرائي إبراهيم عبود، المفيد في المدارس النحوية، ص17.

تجتمع هذه الروايات على أنْ وضع علم النحو كان لا مفرْ منه والاْ لفسدت الآلسنة واستغلقت معاني الالفاظ وحرْف النص القرآني الكريم فالنحو من حال دون ذلك وفي هذا يقول ابن خلدون :<< اللسان العربي اركان اربعة وهي اللغة العربية والنحو والبيان والادب ومعرفتها ضرورية على اهل الشريعة، ان مأخذ الاحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة وهي بلغة العرب ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب وشرح شكلاتها من لغتهم، فلابد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن اراد علم الشريعة، وتتفاوت في التأكيد بتفاوت مراتبها في التوفيت بمقصود الكلام حسبما يتبين في الكلام عليها فنْا فنْا والذي يتحصل ان الاهم المقدم منها هو النحو اذ به تتبين أصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر، ولولاه لجهل أصل الإفادة >>.[1]

وهذا المعنى في التوكيد على اهمية علم النحو في التصدي لتفشى اللحن وشيوعه خاصة اذ تعلق الامر بآيات القرآن العظيم والسنة النبوية الشريفة، لذا نجد أن القدماء من كبار العلماء المسلمين اهتموا بدراسة لغة القرآن الكريم لذلك وجدنا الكثير من العلوم اللغوية التي نشأت في رحابه ، ولعل النحو أحد هذه العلوم.

[1]- ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد، المقدمة، احمد الزغبي، دار الهدى للطبع و النشر ،عين مليلة، الجزائر بدون ط، ص624

المطلب الثاني: النحاة قراء والقراء نحاة

لطالما كان النحو من نشأته قوام العلوم العربية الاخرى وجوهرها الذي لا تقوم الا عليه ، خاصة علوم القرآن الكريم لانه جاء يحميها من الخلل والزلل،، فارتبطت به وأصبح جزءا لايتجزأ منها ومن أهمها علم القراءة التي كان فيها التنوع والاختلاف المشهور في ادائها مبنيا على وجوه العربية ومعتمدا على اختلاف المذاهب النحوية.

التجأ علماؤنا المتقدمون في توجيه القراءات توجيها نحويا الى اللغة العربية نفسها، وكانت تؤدي بينهم على أنظمة مشهودة منذ زمن بعيد وتجري على السنتهم سليمة يحكمها اصطلاح الجماعات الناطقة وانفاقهم حتى اصبحت العربية بلهجاتها المتعددة نظاما عرفيا لا يمكن الخروج عليه في امة عرفت بالبيان والفصاحة والبلاغة وصار الامر اكثر حزما وفعالية حين تهيأ العلماء العرب الاوائل ان يوجدوا ما يفعل الاسلام الحنيف علوما في التفسير والاصول والشريعة والفقه والمعاجم والعروض والنحو وغيرها كثيرة.

إن الذي نقصده هنا ان النحاة العرب قد شغلوا بالقراءات القرآنية وحاولوا الاعتماد عليها في توجيه الانظمة النحوية التي قال بها كل منهم، ومثلما كانت القراءات القرآنية جزءا من المنظومة اللغوية الشاملة أعني: اللغة العربية بكل تراثها الخالد– كان النحو العربي وصغا لهذه المنظومة على وجوه متعددة بتعدد العلماء الذين وجهوا عنايتهم الى ذلك كله من أجل الملائمة بين القراءات واللغة العربية من جهة، وما يسمع من قراءات، وما روي من كلام العرب بما يجعل القراءات تلتقي القاعدة النحوية فتعززها وتعضدها.[1]

وهذا لان النحو اساس ضروري للحياة العربية في الفقه والتفسير والادب و الفلسفة والتاريخ وغيرهما من العلوم فلا نستطيع ان ندرك المقصود من نص لغوي دون المعرفة بالنظام الذي تسير عليه اللغة.[2]

---

[1]- هادي نهر، التفسير اللغوي والاجتماعي للقراءات القرآنية ، جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع ، عمان الأردن ،ط1 2008م–1429ه ص 172، 173.

[2]- الراجحي عبده، التطبيق النحوي، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، ط2. 2000م 1420 ه، ص8.

فالنحو دعامة العلوم العربية ،وقانونها الاعلى ولذا نجد منها علما يستقل بنفسه عن النحو او يستغني عن معونته او يسير بغير نوره وهداه.

وجميع العلوم النقلية ، على جليل شأنها لاسبيل الى استخلاص حقائقها، والنقاد الى اسرارها بغير هذا العلم، فهل ندرك كلام الله تعالى –ونفهم حقائق التفسير واحاديث الرسول –صلى الله عليه وسلم– واصول العقائد، وادلة الاحكام والفقه الاسلامي ، والبحوث الشرعية الا بالهام النحو وارشاده؟[1]

وعلى الاختلاف النحوي في المسائل والقواعد الاساسية والتوجهات في المدارس النحوية المختلفة ، واراء النحاة المتفرقة ظهر الاختلاف الشائع في القراءات القرآنية .

وان أكثر الاختلاف النحوي في اداء بعض القراءات القرآنية في الاساس انعكاس لانقسام اللغة العربية على لهجات على المستوى النحوي مما تمخضْ عنه اختلاف في توجيه تلك القراءات نحويا، ومن ثم اختلاف في الدلالات المستفادة من كل قراءة على اوجه متعددة.[2]

وكما هو شائع فإن اللفظ القرآني مهما تعدد اداؤه وتنوعت قراءته لا يخرج عن الوجوه السبعة المعروفة لقوله صلى الله عليه وسلم

<< إنَ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ولكن لا تختموا ابدا رحمة بعذاب، ولا تختموا ذكر عذاب برحمة>>.

ويقول ابن قتيبة :<< وقد تدبرت في وجوه الخلاف في القراءات فوجدتها سبع أوجه >>.[3]

ومن العلماء من يزيد عليها الى عشرة او أكثر وكانت لهذه الوجوه السبعة المشهورة في القراءة سبعة قراء مشهورين لكل منهم قراءة خاصة بحسب ما يقضيه توجهه النحوي وما قامت عليه مدرسته التي عرف منها دراساته الاولى، وكما كان القرآن ذخيرة كل عالم نحوي عربي يجعله النموذج الاقوى لتوضيح مسائله وتقوية آرائه ومواقفه ، كان النحو العلم الضروري الذي

---

[1]- محمود فجال، الحديث النبوي في النحو العربي، الدراسات النحوية للاحاديث النبوية ، ط2 1997م–1417ه

[2]- هادي نهر، التفسير اللغوي والاجتماعي للقراءات القرآنية .

[3]- محمود سليمان الياقوت ، مصادر التراث النحوي، ص 83 .

يثبت اعجاز هذا الكتاب العظيم ، والمنهج القويم الذي تقوم عليه معظم اساساته، لذا فإن القراء قد كان لهم واجب الالمام الكافي بعلم النحو وكذا الامر بالنسبة للنحاة فإنهم بفضل نحوهم توسعوا في دراسة القرآن وعلموه وقراءاته فكان الواحد منهم(النحاة– القراء) يمسك بزمام كل علم على النحو السليم ويزيد عليهما كفايته من علوم اللغة الاخرى ليكون بذلك اماما جديرا بنسبته الى اهل اللغة والعلم فيعتمد بكلامه ويؤخذ بآرائه ويستفاد من خبراته وتجاربه.

ومن هؤلاء الذين نذروا انفسهم لخدمة كتاب الله ولغته العظيمة .

1–عبدالله بن ابي اسحاق الحضرمي:

هو ابو عبد الله اسحاق زيد بن الحارث الحضرمي اعلم اهل البصرة واعقلهم، احد الائمة في القراءات والعربية، اخذ القرآن عن يحي بن يعمر ونصر بن عاصم، وروى عن ابيه وجده عن علي .

علي بن ابي طالب–كرم الله وجهه– واخذ النحو عن ميمون الاقرن يقول الزبيدي :

<< هو أدل من يعج النحو ومد القياس وشرح العلل وكان مائلا الى القياس في النحو >>

وكان للابن ابي اسحاق مذهب في القراءة يخالف عليه جمهور القراء ، حيث كان يطبق القياس على قراءته للقرآن مع ان القرآن سنة متبعة فقد كان يقرآ :

<< يا ليتنا نردٌ ولا نكذَب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين >> (سورة الانعام 27)

كما كان يقرأ ايضا :<< والزَانية والزاني >> (سورة النور 2) << و السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما >> (سورة المائدة 5) ، بالنصب وهو خلاف ما قرأ به القراء حيث كانوا يقرأون بالرفع في الجميع.[1]

2- ابو عمر بن العلاء:

نحوي مقرأ ولد بمكة وعاش بالبصرة وهو أحد القراء السبعة المشهورين عني بإقراء الناس القرآن في المسجد الجامع بالبصرة[2] اخذه عن جماعة من التابعين وقرآ القرآن على سعيد بن جبير ومجاهد وروى عن انس بن مالك وابي صالح التمان وعطاء وطائفة من المحدثين.

قال سفيان بن عيينة :<< رأيت النبي صلى الله عليه وسلم- في النوم فقلت: يارسول الله، قد اختلفت على القراءات فبقراءة من تأمرني؟ فقال : بقراءة ابي عمرو بن العلاء >>.

وروى ابو حاتم عن الاصمعي قال : قال شعبة بن الحجاج لعلي بن نصر الجهضمي :<< خذ قراءة ابي عمرو فتوشك ان تكون اسنادا>>.

- اخذ ابو عمرو النحو عن يحي بن يعمر ، ونصر بن عاصم ، وعبد الله

ابن ابي اسحاق ، وكان أعلم الناس بالقرآنالكريم و العربية والاشعار وهي في النحو في الطبقة الرابعة من علي بن ابي طالب كرم الله وجهه .

[1]- راوي صلاح، النحو العربي نشأته، تطوره، مدارسه ، رجاله: ص131 ، 134 .

[2]- المرائي عبود إبراهيم ، المفيد في المدارس النحوية ، ص 51.

3- النسائي :

هو ابو الحسن علي بن حمزة ولد بالكوفة ونشأ بها ، اكتسب من نشأته على حلقات العلماء ولزم حلقة حمزة بن حبيب الزيات (ت 156) امام قراء الكوفيين في عصره حتى حذق قراءته واصبح أحد القراء السبعة المشهورين ، وكان فطنا وذكيا فرأى انَه له يبرع في قراءة الذكر الحكيم الا اذا عرف اعرابه فاختلف الى حلقات ابي جعفر الروائي ومعاذ الهراء وعيسى بن عمر والخليل بن أحمد يدرس النحو، فألق: معاني القرآن والقراءات ومختصر في النحو.....الى.[1]

[1]- رواي صلاح ، النحو العربي نشأته، تطوره ،مدارسه رجاله، ص 135، 136 ، 394

الفصل الثاني
أثر التوجيه النحوي في استنباط الأحكام الشرعية

شروط المفسّر و الفقيه:

ممّا لاشكّ فيه أنّ أوثق نصّ عربّي تستند إليه العربيّة في تقعيد قواعدها وفهمها النصّ القرآني و أقوم طريق يُسلك في الوقوف على معناه، و يُتوصّل به إلى تبيين أغراضه، معرفة إعرابه و لا يتسنّى لنا ذلك إلا بالنّحو، لذلك اشترط العلماء شروط يجب أن تتوفّر في من يريد الخوض في تفسير القرآن العظيم و جعلوا تمامها معرفة قواعد العربية فقد نقل السّيوطي عن أبي طالب الطنزي قوله: "وتمامُ هذه الشرائط (أي شرائط التّفسير– أن يكون المفسّر ممتلئا من عدّة الإعراب لا يلتبس عليه وجود اختلاف الكلام ".[1]

وقال الزركشي في البرهان:" للنّاظر في القرآن لطلب التّفسير مآخذ كثيرة أمهاتها أربعة:"

الأول: النقل عن النّبي صلىّ الله عليه و سلم. وهذا هو الطّراز المعلّم، لكن يجب الحذر من الضعيف منه و الموضوع فإنّه كثير.

الثاني: الأخذ بقول الصحابيّ، فإن تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع إلى النّبي صلّى الله عليه و سلّم.

الثالث: الأخذ بمطلق اللغة، فإنّ القرآن نزل بلسان عربيّ، وهذا قد ذكره جماعة.

الرابع: التّفسير بالمقتضى من معنى الكلام و المقتضب من قوة الشّرع وهذا هو الذي دعا به النبي صلى الله عليه و سلم لابن عباس "[2].

ولعلّ ما يهمّنا نحن في هذا البحث هو ثالث هذه الشروط أي الأخذ بعلوم العربيّة حتى يتسنّى للمفسّر الإحاطة بمعاني القرآن و ألفاظه دون لحن فيها فالقرآن أُنزل بلغة العرب و عاداتها في الكلام، قال السيوطي في الإتقان:" ومن شرطه:

---

[1]– السيوطي جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، مطبعة الحجازي، القاهرة، 1368 هـ، ج2، ص 176.

[2]– المرجع نفسه، ص 176.

صحّة المقصد فيما يقول ليلقىّ الشّديد فقد قال تعالى:" والّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا " [العنكبوت –96] وإنّما يُخلص له القصد إذا زهد في الدّنيا، لأنّه إذا رغب فيها لم يؤمن أن يتوسل به إلى غرض يصدّه عن صواب قصده و يُفسد عليه صحّة عمله، وتمائم هذه الشرائط أن يكون ممتلئا من عُدّة الإعراب، لا يلتبس عليه اختلاف وجوه الكلام، فإنّه إن خرج بالبيان عن وضع اللسان إمّا حقيقة أو مجازا، فتأويله تعطيله، وقد رأيت بعضهم يفسّر قوله تعالى:" قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ "[الأنعام –2–] إنه ملازمة قول الله، ولم يدر الغبي أنّ هذه جملةٌ حُذف منها الخبر و التقدير:"الله أنزله"[1].

ولا يجوز تفسير القرآن بمجّرد الرّأي و الاجتهاد من غير أصل وهذا ما أوقع الاختلاف بين الناس في تفسير القرآن هل يجوز لأي أحد الخوض فيه، "فقال قوم: لا يجوز لأحد أن يتعاطى تفسير شيء من القرآن، وإن كان عالما أدبيا متّسعا في معرفة الأدلّة والفقه و النّحو و الأخبار و الآثار، وليس له إلاّ أن ينتهي إلى ما روي عن النّبي صلىّ الله عليه و سلم في ذلك، ومنهم من قال يجوز تفسيره لمن كان جامعا للعلوم التي يحتاج المفسر إليها و هي خمسة عشر علما:

أحدها: اللّغة: لأنّ بها يعرف شرح المفردات و مدلولاتها بحسب الوضع و السّياق، قال مجاهد:" لا يحلّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب" ولا يكفي في حقّه معرفة اليسير منها فقد يكون اللفظ مشتركا، وهو يعلم أحد المعنيين والمراد الآخر.

الثاني: النّحو: لأنّ المعنى يتغيّر و يختلف باختلاف الإعراب، فلا بدّ من اعتباره، أخرج أبو عبيد عن الحسن أنّه سئل عن الرجل يتعلّم العربية، يلتمس بها

[1]– السيوطي جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، مركز الدراسات القرآنية، المملكة العربية السعودية، ج6 ص2274 – 2293.

حسن المنطق و يقيّم بها قراءاته؟ وقال حسن، فتعلمها، فإنّ الرجل يقرأ الآية فيعيى بوجهها فيهلك فيها.[1]

ومن ذلك نجد اختلاف القراءة بين النصب و الجر و الفتح و الضم في اللفظة الواحدة ما ولّد فيها اختلاف التفسير كآية:" وَاتَّقُوا اللَّهَ الذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ و الأَرْحَامَ "[النساء –1–]، "والسَارِقُ وَ السَارِقَةُ "[المائدة –38–] و سيأتي تفصيل ذلك في المطلب اللاحق.

الثالث: التّصريف: لأنّ به تُعرف الأبنية و الصيغ، قال ابن فارس: "ومن فاته علمه فاته المعظم، لأنّ "وجد "مثلا كلمة مبهمة، فإذا صرّفناها اتّضحت بمصادرها ". وقال الزّمخشري:" من بدع التفاسير قول من قال: إنّ الإمام في قوله تعالى:" يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ "[الأسرة –71–] جمع "أمّ" و إنّ الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم دون آبائهم قال:" وهذا غلط أوجبه جهله بالتصريف، فإنّ "أمّا " لا تجمع على إمام.

الرابع: الاشتقاق: لأنّ الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف المعنى باختلافها كالمسيح، هل هو من السياحة أو من المسح؟

الخامس و السادس و السابع: المعاني و البيان و البديع: لأنّه يعرف بالأول خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى، و بالثاني خواصتها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة و خفائها و بالثالث وجود تحسين الكلام و هذه العلوم الثلاثة هي علوم البلاغة، وهي من أعظم أركان المفسر، لأنه لابد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز، و إنّما يدرك بهذه العلوم، قال الزّمخشري:" من حق مفسر كتاب الله الباهر و كلامه المعجز أن يتعاهد بقاء النّظم على حسنه، و البلاغة على كمالها و ما وقع به التّحدي سليما من القادح". وقال غيره:" معرفة هذه الصناعة بأوضاعها

[1]– المرجع السابق، ص 2293.

هي عمدة التفسير المطّلع على عجائب كلام الله، وهي قاعدة الفصاحة، و واسطة عقد البلاغة ".

الثامن: علم القراءات: لأنّ به تُعرف كيفية النطق بالقرآن، و القراءات ترجع بعض الوجوه المحتملة على بعض.

أما باقي الشروط فتتلخّص كلها في معرفة أصول الدين و أصول الفقه و كذا معرفة أسباب النزول و القصص و النّاسخ و المنسوخ بالإضافة إلى علم الفقه و الأحاديث و الموهبة. هذه هي الخمسة عشر شرطا التي واجِبٌ توفُّرها في مفسر كتاب الله.

يقول السيوطي: قال العلماء يجب على المفسر أن يتحرّى في التفسير مطابقة المفسّر و أن يتحرّز في ذلك من نقص عمّا يحتاج إليه في إيضاح المعنى أو زيادة لا تليق بالغرض، ومن كون المفسر فيه زيغ عن المعنى، وعدول عن طريقه و عليه بمراعاة المعنى الحقيقي و المجازي ومراعاة التأليف و الغرض الذي سبق له الكلام وأن يؤاخي بين المفردات و يجب عليه البداءة بالعلوم اللفظيّة و أول ما تجب البداءة به منها تحقيق الألفاظ المفردة فيتكلم عليها من جهة اللغة، ثم التصريف ثم الاشتقاق ثم يتكلم عليها بحسب التركيب فيبدأ بالإعراب، ثم ما يتعلق بالمعاني ثم البيان ثم البديع، ثم يبين المعنى المراد ثم الاستنباط ثم الإشارات.[1]

- في هذا النص يتحدث السيوطي عن أدوات المفسر وقد حددها على النّحو الآتي:

1- " تحري مطابقة المتفسّر و المفسر.
2- التحرّز من أي نقص في التفكير يؤثر في المعنى.
3- التحرّز من أي زيادة لا تليق بالغرض.
4- التحرّز من أن يكون المفسر فيه زيغ عن المعنى.

[1]- المرجع السابق، ص 2297.

5-على المفسر مراعاة المعنى الحقيقي و المجازي و مراعاة التأليف والغرض الذي سبق له الكلام.

6-على المفسر البدء بالعلوم اللفظية و أول هذه العلوم:

أ- تحقيق الألفاظ المفردة من حيث اللغة.

ب- تحقيق الألفاظ من حيث التصريف.

ت- تحقيق الألفاظ من حيث الاشتقاق.

ث- التكلم على الألفاظ بحسب التركيب.

فيبدأ بالإعراب ثم ما يتعلق بالمعاني ثم البيان ثم البديع ثم بيان المعنى المراد ثم الاستنباط ثم الإشارات.[1]

واضح إذن أنّ العلاقة بين القرآن و العلوم اللغوية علاقة وثيقة متينة تتضح في كثير من المظاهر و لا ننكر بذلك أهمية العلوم الأخرى لكن أثر ذلك واضح في أن كل آيات القرآن يستشهد بها في علوم من هذه العلوم، فالنحو مثلا كل النحاة تقريبا وضعوا نصب أعينهم الذكر الحكيم و جعلوه محط استشهادهم و استنباط علومهم وكلّ كتب التفاسير تتعرض للإعراب في الكلمات و الجمل حيث إنّه مرتبط بالمعنى. و بهذا فإنّ العلوم الإنسانية بعامة يتصل بعضها ببعض و يأخذ بعضها من بعض.

[1]- المرجع السابق، ص 2297.

آيات الأحكام:

جاء في الهدي الكريم ما ينير بصائر المسلمين وما يبيّن لهم طريق الحقّ ليخرجهم من ظلمات الضلالة و الجهالة ،فكان هذا الكتاب العظيم منهاج كلّ مسلم و طريقا محفوفا بقدم آخر المرسلين إلى كلّ خير في الدّنيا و الآخرة، لتُنظَّم به حياتهم و علاقتهم، و تُحفظ به أنفسهم و أملاكهم و تُحكم به أفعالهم و أقوالهم. فقد جاء متضمّنا جملة من القوانين العامة و الخاصة و التي سنّها الله لعباده يضمن لهم بها كرامة العيش و راحة النفس.

و مجموع هذه القواعد و القوانين هو ما عُرف عند العلماء و منذ بداية اهتمامهم بالقرآن و علومه بآيات الأحكام: و هي الآيات التي تبين الأحكام الفقهية و تدلّ عليها نصا واستنباطا. فاجتهد هؤلاء في العناية بها و تفسيرها و تأويلها بكلّ ما يستلزم لجعل أحكامها الشرعيّة المستنبطة منها صحيحة سليمة.

و تعدّ هذه الأحكام محصورة في المحرّمات و الحدود كالقتل و الزنا و السرقة و الفرائض و النواهي بتفصيلها التام، كما تضمّنت معانٍ تشريعيّة في تنظيم الأسرة و مؤسّسات المجتمع الإسلامي كأحكام النّكاح و التبنّي و المصاهرات و المواريث...إلخ.

وقع اختيارنا على هذه الآيات كنماذج تطبيقية نظرا لكونها تخدم موضوع البحث، و باعتبار أنّها من أشهر الآيات المتضمّنة لأحكام شرعيّة توجّه حياة المسلمين في دنياهم و أخراهم.

لذا كان اهتمام المسلمين والعلماء خاصة بها بالغا رغبة منهم في استنباط أحكامها على وجهها الصّحيح الذي أراده الله تعالى لعباده، فكان لنا هذا الاختلاف الشّائع في تأويلها النّحوي ثم في تفسيرها وهذا راجع لاختلاف توجّهاتهم الفقهية و مذاهبهم و آرائهم النّحوية.

و سنعرض فيما يلي بعض الآيات التي كان الاختلاف النّحوي فيها سببا رئيسا في تعدّد أوجه تفسيرها.

الآية 1:

قال تعالى: " إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ المَيْتَةَ والدَّمَ وَ لَحْمَ الخِنْزِيرِ" [البقرة 173].

فقرأ الجماعة كلّهم: " حَرَّمَ عَلَيْكُمْ المَيْتَةَ" بالبناء للفاعل و النّصب في الميتّة.

و قرأ ابن أبي الزناد: " إِنَّمَا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ المَيْتَةُ" بالبناء للمفعول و الرّفع في الميتةُ.

- وفيها قراءة شاذّة أيضا: (حَرُمَ) على وزن (فَعُلَ).
- و قراءة النّصب على كون الميتةَ مفعولاً به و الرّفع على كون (ما) بمعنى (الذي) و ليست كافة.
- (و حَرَّمَ) مع المضمر في صلته، و المضمر هو العائد من الصّلة إلى الموصول.

  و الميتة: مرفوع لكونه خبر (إنّ).
- و يرى بعض النّحاة أنّ في الآية حذفا لمضاف و التقدير: حرّم عليكم أكل الميتة و دليلهم على ذلك:أنّ ظاهر الآية قد نُسب منه اسم حُكم شرعيّ إلى ذات.

- و الحكم الشّرعي هو التّحريم، و الذّات هي الميتة، و التّحريم لا يتعلّق بالذّات و إنّما يتعلّق بالأفعال.
- و النّصب اختيارُ أكثر النّحاة لقربه من الدّلالة المرادة: " فإنّنا" تفيد – فيما تفيد – الحصر اثبات لما يُذكر بعدها، و نفي ما سواه و عليه لا يكون المعنى:
- ما حرّم الله عليكم إلا الميتة بحصر المفعول به (الميتةَ) على الفاعل توكيدا على تحريمها مطلقا و ولا مبرّر لبناء الفعل المجهول لأنّ الذي حرر هو الله سبحانه و تعالى الأمر الناهي.[1]

الآية 02:

قال تعالى:

" يأَيُّهَا الذِّينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ". [البقرة 278].

- قالوا: (إنْ) تكون للشكّ بخلاف إذا فلا يقال:
- أفعل ذلك إن جاء الشتاء بل يقال: إذا جاء الشّتاء لأنّ مجيئه متحقق و معنى ذلك أنّ الآية خُتمت بما يشعر بالشك في إيمان هؤلاء: "إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" خاصة و أنّهم رووا أنّها نزلت في بعض الصّحابة كما سنشير و هذا يتعارض مع مطلع الآية. " يَاأَيُّهَا الذِّينَ آمَنُوا" ، حيث أثبت لهم الإيمان.
- قال الكوفيون: (إنْ) هنا بمعنى (إذا) و المعنى: "إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" و كأنه تعليل و إقرار و جعلوا منه قوله تعالى:

" لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِينَ " (الفتح 27).

[1]– هادي نهر، التفسير اللغوي و الاجتماعي للقراءات القرآنية، ص 196.

- و قوله صلّى الله عليه و سلم:

" إنّا إن شاء الله بكم لاحقون".

- و نحو ذلك مما الفعل فيه محقّقُ الوقوع.
- و قيل هو شرط جيء به للتّوبيخ و الإرهاب، كأن تقول لأبنك:

"إن كنت ابني فلا تفعل كذا".

- قال الزمخشري:

إن صحّ إيمانكم يعني أنّ دليل صحّة الإيمان و ثباته امتثال ما أُمرتم به.

و قيل: الشّرط على بابه لأنّها نزلت في ثقيف، لأنّه كان من أول دخولهم في الإسلام، و على هذا تكون (إنْ) للشكّ لأنّه لم يُستوثق من إيمان هؤلاء.[1]

الآية03:

قال تعالى:

" لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ".

[النساء11].

- فكلمة (فوق) ظرف متعلّق بمحذوف صفة للنّساء، و لكن بعض النّحاة حكم بزيادتها، و ذلك يتغيّر الحكم الشّرعي في الميراث بناءً على هذه الزّيادة، إذ يكون للبنتين اللّتين ثلثا تركة المتوفّي.
- و قال أبو العباس المبرِّد:
- إنّ في هذه الآية ما يدلّ على أنّ للبنتين الثّلثين، و ذلك أنه لما كان للواحدة مع أخيها الثلث إذ انفردت علمنا أن للاثنتين الثلثين و استدلوا – بالإضافة إلى ذلك – بأنّ (فوق) جاءت زائدة.

[1]– مجدي محمّد حسين، التّوجيه اللغوي لمشكل القرآن الكريم، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، د ط، ص 111– 112.

- في قوله تعالى:
- " فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ" [الأنفال 12].
- و قد ردّ القرطبي هذه الأقوال كلهما بأنّ الظروف و جميع الأسماء لا يجوز في كلام العرب أن تُزاد لغير معنى.

و قال ابن عطيّة:

و لأنّ قوله تعالى: " فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ" هو الفصيح– و ليست (فوق) زائدة– بل هي مُحكمة المعنى، لأنّ ضربة العنق إنّما يجب أن تكون فوق العظام دون الدّماغ.[1]

الآية 04:

قال تعالى:

" يَا أَيُّهَا الذِّينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ إِلَى المَرَافِقِ وَ امْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَ أَرْجُلِكُمْ إِلَى الكَعْبَيْنِ". [المائدة 06].

- فقد قرأ ابن كثير و أبو عمرو و حمزة و أبو بكر عن عصام:
" و أَرْجُلِكُمْ" بالجر و قرأ الياقوت و" أَرْجُلَكُمْ "بالفتح.
- و قد اختلف العلماء في تأويل هذه القراءة: فمن قرأ بالكسر لزمه أن يمسح و من قرأه بالنصب لزم أن يغسل لأنّ:
- الكسر يعني العطف على "رؤوسكم" – و النصب يعني العطف على " أيديكم" و أن يكون معطوفا على موضع "برؤوسكم" و ترجح عند أكثر النّحاة العطف على اللفظ لأنّه الأصل.

[1]– أحمد سليمان ياقوت، ظاهرة الإعراب في النحو العربي و تطبيقها في القرآن الكريم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د ط، 1993، ص 178.

- و قيل: أنّ الكسر في "أرجلِكم" في المعنى على الجوار" لوجوهكم" و في اللفظ على الجوار" لرؤوسكم".
- و نلحظ بجلاء الرّؤى الاجتماعية و اللّغوية البحتة في الحجج التي استند إليها هذا أو ذاك من العلماء في تأدية مبدأ الغسل أو المسح إذ قالوا:

1-إنّ المسح في كلام العرب يكون مسحا – و هو إصابة الماء – و يكون غسلا.

2-أنّ المحدود و مع المحدود عندهم – أولى أن يؤتيا و ذلك أنّ الله تعالى كلّ ما ذكره من المسح فإنّه لم يحده، و كل ما حده فهو مغسول.

كقوله تعالى:

" و أَيْدِيَكُمْ إِلَى المَرَافِقِ" و "أَرْجُلِكُمْ إِلَى الكَعْبَيْنِ"

- و يلفت الزّمخشري النّظر إلى مسالة اجتماعية بحتة في تعليقه على من قال بالجوار فيقول:

" إنّ الأرجل لمّا كانت من بين الأعضاء الثّلاثة المغسولة تُغسل بصبّ الماء عليها كانت (مظنّة الإسراف) المذموم شرعا فعُطفت على الممسوح لا للمسح و لكن لينبّه على وجوب الاقتصاد في الماء".

و يرى آخرون أنّ الخفض على الجوار غلط لأنّ هذا الخفض لغة لا تستعمل في القرآن و إنّما تكون لضرورة شاعر أو حرف يجري كالمثل كقولهم: "هَذَا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ".

- و قيل: "أنّ المسح خفيفُ الغُسلِ" و عليه يمكن أن يكون قوله قوله تعالى: "فَطَفِقَا مَسْحًا بِالسُّوقِ و الأَعْنَاقِ".

و لم يقل أحد العلماء أنّ المسح هنا هو الغسل.

- و قيل أّن الله تعالى أنزل القرآن بمسح الرِّجل ثم عادت السّنة بالغسل.[1]

[1]– هادي نهر، التفسير اللغوي و الاجتماعي للقراءات القرآنية، ص 196- 198.

الآية 05:

و في نفس الآية قوله تعالى:

" وَ إِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمْ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا". [المائدة6].

- هذه الآية تتضمّن بيان حكم المريض الذي يجد الماء و لا يستطيع استعماله – هل يجوز له التيمم أم لا؟
- ذهب الجمهور إلى الجواز، و ذهب عطاء إلى عدم الجواز.
- احتجّ الجمهور على مذهبهم بأنّ الضّمير في قوله: " فَلَمْ تَجِدُو" عائد على المسافر و من ذكر بعد في الآية فقد لا يشمل شرط عدم إيجاد الماء للمريض لأنّ في الكلام صفة محذوفة و التقدير:

" إنْ كُنتُم مرْضى لاَ تستطيعون استعمال الماء – فجملة لا يستطيعون في محل نصب صفة "المرضى"، وهذه الصفة المقدّرة قد أخرجت المريض من اشتراط عدم وجود الماء في إباحة التيمّم فيبقى الماء شرطا في جواز تيممهم، و حينئذ يصير معنى الآية:" إِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى لا تستطيعون استعمال الماء فتيمموا"، وهذا هو الرأي الراجح لأنّ الضمير (إنْ) كان عائدا إلى جميع المذكورين إلاّ أنّ حال المريض يُرجّح تقدير جملة الصفة التي تخرج المريض من عودة الضمير إليه.

- فالمعروف من حال المريض أنّه لا يستطيع استعمال الماء و حذف الصفة و إن كان قليلا.

إلا أنّ النّحاة أجازوه عند قوة دلالة الحال عليها – فقد نقل العلاّمة إبن يعيش عن سيبويه أنّ الصفة قد تُحذف في مثل قوله:

- يسير عليه ليل – و يقصدون ليل طويل.
- وقد ورد مثل هذا الحذف في مواطن أخرى من القرآن الكريم، كقوله تعالى عن الريح:" تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ".

أي كل شيء سلطت عليه. واستشهد ابن جنّي و غيره لذلك أيضا بقوله:

" لا صلاة لجار المسجد إلاّ في المسجد"، أي لا صلاة كاملة أو فاضلة.

– وقد ذكرنا أنّ العجز عن استعمال الماء الذي هو حال المريض يقوى جواز حذف الصفة في هذه الآية ويبقى عدم وجود الماء شرط في صحة تيمّم المسافر والمحدثين فقط. وعليه يكون الضّمير في تركيب الآية قد أبان بجلاء عن معنى الآية الراجح و كان أداة موصلة إلى استنباط حكم جواز التيمّم للضمير غير المستطيع، و المسافر و المحدثين الذين لم يجدوا ماء وفي ذلك كله وظيفة بيانية، و دلالة على المعنى وأثر نحوي في استنباط الحكم الشّرعي من الآية.[1]

ونصل بهذه الدراسة إلى أنّ النّحو أساس في التّفسير القرآني لا ينبغي إهماله يصيب الأخير إن صحّ الأول و لكنّه يختلّ إذا أخطأ.

[1]- عمار ساسي، الإعجاز البياني في القرآن الكريم، ص 239.

خاتمـــــة:

القرآن الكريم هو الكتاب الجليل الذّي أبهر الخلق بإعجازه وبيانه، فتناهل إليه العلماء يتدّبرون معانيه وألفاظه بالاستناد إلى علوم مختلفة أهمّها علميْ التّفسير والنّحو، فهما أحسن سبيل يوصلنا إلى فهم معاني القرآن على وجهها الصحيح.

وبعد محاولة الاجتهاد في البحث توصّلنا إلى الاستنتاجات التالية :

- القرآن الكريم هو أعظم كتاب على الأرض، أُنزِل رحمة للعالمين على نبينا المصطفى الأمين و معجزته التّي تحدّت كل الألسنة البشرية.
- أفضل علم صُرفت إليه الهمم ، وغاص فيه العلماء ، علم تفسير كتاب الله للوقوف على فهم كل آية من سوره على وجهها الصحيح.
- نشأ النّحو في كنف صراعات لغوية عديدة جعلته علما قائما بذاته و أمرا لابد منه هدفه الأسمى حماية النص القرآني من كل أشكال اللحن و التحريف.
- العلاقة بين النحو و القرآن علاقة وثيقة متينة لا يرضى إلا أن يكون أحدهما سندا للآخر يؤثّر فيه و يتأثر به.
- حدد العلماء شروطا واجبٌ توفُّرها فيمن أراد التعرض لكتاب الله بالتفسير و أهمها المعرفة الجلية بعلوم القرآن و علوم اللغة.
- اختيار آيات الأحكام كنموذج للتطبيق على هذا الموضوع كان لأهميتها في كل جوانب الحياة بحسب ما شرّعه الله سبحانه و تعالى لعباده.
- للتأويل النّحوي الأثر البارز في اختلاف التفسير القرآني لأنه أساسه و مقياسه.

وفي الأخير نحمد الله على توفيقه لنا لإتمام هذا البحث و به نسأله زيادة في العلم والعمل إنه وليّ ذلك و مولاه، وصلّ اللّهمَّ و سلّم على سيّدنا محمّد و على آله و صحبه أجمعين.

« تم بإذن الله »

قائمة المصادر

و المراجع

قائمة المصادر و المراجع:

- القرآن الكريم.

المصادر:

1-ابن جني عثمان أبو الفتح، الخصائص، ت. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان، ط1،2001.

2-ابن خلدون، المقدمة، إ. أحمد الزغبي، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع.

3-الراجحي عبده، التطبيق النحوي، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ط2، 2000 1420هـ.

4-السيوطي جلال الدين ، الإتقان في علوم القرآن ، مركز الدراسات القرآنية المملكة العربية السعودية ، ج6.

المراجع:

1-أحمد سليمان ياقوت، ظاهرة الإعراب في النحو العربي و تطبيقها في القرآن الكريم دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، 1993.

2-السمرائي إبراهيم عبود ، المفيد في المدارس النحوية ، دار مسيرة للنشر و التوزيع عمان ، ط1 ، 2007.

3-صلاح رواي، النحو العربي نشأته، تطوره، مدارسه، رجاله، دار غريب للنشر و الطباعة، القاهرة، ط1، 2003.

4-عمار ساسي، الإعجاز البياني في القرآن الكريم، دار المعارف للإنتاج و التوزيع البليدة، الجزائر، ط1، 2003-1423هـ.

5-مجدي محمد حسين، التوجيه اللغوي لمشكل القرآن الكريم، مؤسسة حورس الدولية الإسكندرية، د ط.

6-محمود سليمان ياقوت، مصادر التراث النحوي، دار المعرفة الجامعية جامعة طنطا بمصر، دط، 2003.

7-محمود فجال، الحديث النبوي في النحو العربين الدراسات النحوية للأحاديث النبوية الكتاب الأول، ط2، 1997-1417هـ.

8-منصور كافي، مناهج المفسرين في العصر الحديث، دار العلوم للنشر، عنابة الجزائر د ط.
9-هادي نهر، التفسير اللغوي والاجتماعي للقراءات القرآنية، جدارا للكتاب العالمي للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008م-1429هـ.

فهرس المحتويات:

مقدمة.....01

تمهيد.....03

الفصل الأول: تاريخ الدرس النحوي و درس التفسير

المطلب الأول:عوامل نشأة النّحو

- أهم الروايات في سبب نشأة النّحو.....06-08
- أهم هذه الأسباب حماية القرآن.....08

المطلب الثاني: النّحاة قرّاء و القرّاء نحّاة

- النّحو أساسي في قراءات القرآن.....09-11
- أهم القرّاء النّحويين.....11-13

الفصل الثاني: أثر التّوجيه النّحوي في استنباط الأحكام الشّرعية

المطلب الأول: شروط المفسّر و الفقيه

- الشّروط العامة للتّفسير.....15
- الشّروط اللّغوية للمفسر.....16-19

المطلب الثاني: دراسة تطبيقية لبعض آيات الأحكام

- آيات الأحكام.....20
- تطبيق اختلاف التّفسير على هذه الآيات.....21-27

خاتمة.....28